التراث والتجديد في فكر حسن حنفي

الأستاذ هاني السباعي
مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

تقدمة :

لقد فتح المعتزلة الأوائل المجـال للعلمـانيين ومن سـار على دربهم في النيل من الإسلام وعقيدته، أطلقوا سلطة التحسـين والتقـبيح على حسـاب الشـرع، فقـدموا العقل على النقـل، وقد نتج عن ذلك أنهم عطلـوا صـفات الله وقالوا بخلق القرآن وأنكروا رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وأنكـروا أحـاديث الشـفاعة في أهل الكبـائر يـوم القيامة وقالوا مـرتكب الكبـيرة يخلد في النـار، وقـالوا إن الله لم يسـتو على عرشه وأولوها بالإسـتيلاء، وتطـاولوا على الصـحابة كـأبي بكر الصـديق وعثمـان وعلي وطلحة والزبير وجرير بن عبدالله بن مسعود وسـمرة بن جنـدب، وكان لأبي هريرة نصيب الأسد من الطعن والتجريح رضي الله عنهم أجمعين.

وقد تـولى كـبر هـذه المدرسة الكلامية واصل بن عطـاء وعمـرو بن عبيد وأبوالهـذيل العلاف والنظـام والجاحظ والقاضي عبد الجبار وغـيرهم، ثم زين المستشـرقون آراء هذه الفرق الضالة.

فسـار- على تلك المنظومة وخاصة في القـرنين المنصرمين – قلة من أبناء المسلمين المتسمين بالإسـلام فبعد الطهطاوي جـاء الرجل اللغز جمـال الـدين الأفغـاني وتلامذته محمد عبـده ومحمد مصـطفى المـراغي شـيخ الأزهر الأسـبق شـلتوت وعبـدالعزيزجاوي ومحمد فريد وجـدي وعلي عبـدالرازق وغـيرهم وعلا صـوت هـذه المدرسة وتم تلميع أئمتها كالأفغـاني ومحمد عبـده، فصـارت فتـاواهم عمـدة وتكـأة لآراء العلمـانيين ومن يسمون أنفسهم بالإسـلام المسـتنير!! وصـار كل من هبّ ودبّ يتكلم في الإسلام كطه حسـين الـذي لم يجد نقيصة إلا ووصم بها الإسلام.

طه حسين الذي قدم لنا الآداب الميتة ولغتها المندثرة كاليونانية وكان ينقب عن النشاز في التاريخ فيبرزه كثورة الزنج والقرامطة تزلفاً وعرفاناً بالجميل لأسياده المستشرقين في ظل هذا الجو الكئيب وسيطرة الفكر الإعتزالي على جامعاتنا ومراكز الدراسات كان من الطبيعي أن يفرز ذلك المناخ الدكتور حسن حنفي أستاذ الفلسفة على الفكر الإعتزالي والمنظومة الماركسية الحمراء فأخرج لنا مؤلفاته التي تسير على غرار المنظومة الماركسية ولما كان مصراً على الإحتفاظ باسم مسلم فإنه صار على منهج المتناقضات بغية التوفيق أو قل التلفيق في تأويل الحدث التاريخي الطويل من البحث والتنقيب ظهر سلخ جديد اسمه اليسار الإسلامي، فصار التاريخ الإسلامي يسار ويمين فالمعتزلة يسار، والأشاعرة يمين، والفلسة بها يمين ويسار، فالفلسفة عند ابن رشد يسار.. والفلسفة الإشراقية عند الفارابي وابن سينا يمين.. والتشريع يمين ويسار.. فالمالكية التي تقوم على المصالح المرسلة يسار،والفقه الإفتراضي عند الحنفية يمين وفي التفسير بالمعقول يسار والتفسير بالمأثور يمين وفي التاريخ الفتنة الكبرى علي يسار ومعاوية يمينٍ ([1]).

نلاحظ أنه صنف الأحناف يمين لأن فقه الأحناف في نظره غير واقعي، ويتحدث عن أمور في المستقبل.. أما التفسير بالمأثور يمين لأن الذين يفسرون بالمأثور يحتمون بالنص والنص يعتمد على سلطة الكتاب وليس على سلطة العقل وحجة السلطة ليست حجة لأن هناك كتباً مقدسة كثيرة في حين أنه يوجد واقع واحد وعقل واحد ([2]).

هكذا بكل صراحة يعلن حسن حنفي معاداته للقرآن.

فخلاصة فكر هذه المدرسة (اليسار الإسلامي) :
أنها امتداد للفكر الإعتزالي ومايسمى بالمدرسة الإصلاحية بزعامة الأفغاني ومحمد عبده ومن رجال هذا

---

[1] العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب – محمد حامد الناصر- مكتبة الكوثر- الرياض الطبعة الأولى، ص330و331 .

[2] العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب – محمد حامد الناصر- مكتبة الكوثر- الرياض الطبعة الأولى، ص330و331

التيار اليسار الإسلامي فتحي عثمان ومحمد عابد الجابري وغيرهم ويركز هـذا التيـار على الثـورة وابـني الإشـتراكية والعدل الإجتماعي وتجديد التراث وغير ذلك.

ويقــول حسن حنفي: (إننا في غيــاب البــديل الإســلامي الثوري لجأنا بالضرورة إلى الماركسية لحل قضـية العدالة الإجتماعية وإلى الليبرالية – الديمقراطية – لحل القمع المسلط على شعوبنا وإلى القومية لإنهـاء حـال التشـرزم وإلى ديكارت لتأكيد العقلانية، لقد لاحظ اليسار الإسـلامي أن في التراث الغـربي بعض الجـوانب الإنسـانية المضـيئة لايمكن إهمالها ولايمكن القيـــام بنهضة فكرية واجتماعية مــالم نســتفيد من هــذه الجــوانب الــتي يلخصــونها في العقلانية والعدالة الإجتماعية والحرية والوحــــــدة القومية ([3]).

ويعتبر حسن حنفي أن اليسـار الإسـلامي هو النقد الـذاتي للحركة الإسـلامية وهو التيـار المعـارض والمصـحح داخل هــذه الحركة الإســلامية، كما أنه يجب إخيــاء الجــوانب الثورية في الـــدين وتأويل كل حـــدث على أنه ثـــورة، إذ يقــول: (ومهمة اليســـار الإســـلامي الكشف عن العناصر الثورية في الـدين أو تأويل الـدين على أنه ثـورة، فالـدين في ذاته ثورة وكانت الأنبياء ثواراً مصلحين ومجددين فقد مثل إبـراهيم ثـورة العقل ضد التقاليد وثـورة التوحيد ضد التجسيم، ومثل موسى ثورة التحـرر ضد الطغيـان, وكـان محمد ثـــورة الفقـــراء والعبيد والمضـــهدين ضد الأغنيـــاء وسادة قريش وطغاتها من أجل إقامة مجتمع حرية وإخـاء ومسـاواة، ويـؤرخ القـرآن للنبـوة على أنها ضد المفاسد الإجتماعية والخلقية (..) وقد ذخر التـــاريخ الإســـلامي بـــالثورات الدينية والإجتماعية والسياســـية مثل ثـــورة القرامطة وثــورة الــزنج في تاريخنا القــديم والحركــات الإصـــلاحية كالمهدية والسنوســـية وثـــورة الجزائر وعمر المختار) ([4])..

هـذه خلاصة أفكـار اليسـار الإسـلامي تلك المدرسة الـتي يريد أن يفرضـــها علينا حسن حنفي ومن على شــــاكلته للأخذ بأيــدي المســلمين للفــوز بالســعادة الماركســية الحمـراء وللمزيد من الإيضـاح سـنلقي الضـوء بعـون الله

[3] المرجع السابق/ ص330و331
[4] المرجع السابق/ص334

تعـالى على أهم ركـائز فكر حسن حنفي التـدميري وذلك من خلال قراءة في كتابه (التراث والتجديد)..

وقد اخترت هذا الكتـاب بصـفة خاصة عن سـائر كتبه لأنه أوضح عبـــارة وأخطر طرحـــاً في إفصـــاحه المباشر عن اطروحته اليسارية ولا تحتاج عباراته إلى تأويل أو غمـوض يحتـــاج إلى تفســـير.. فلكي لا يتهمنا أحد بالتحامل على الـــدكتور حسن حنفي حيث نفسر أقواله بما لا تحتمـــل.. لــذلك رشـحت هـذا الكتـاب الـذي لم يتب مؤلفه حسن حنفي ولم يعلن ذلك على الملأ بل إنه يعتز به وينادي بكل مافيه..

هـذا الكتـاب يحتـوي على أبـرز القضـايا الـتي يـدعو لها الـــدكتور حسن حنفي ويدنــــدن حولها في كتبه ومقالاته وخاصة مؤلفه الضـخم: (من العقيـدة إلى الثـورة محاولة لإعادة أصول الدين).. وكتابه: (الدين والثورة في مصـر).. وكتبابه: (مقدمة في علم الإستغراب)..
وللكاتب مقالات أخرى في فلسفة اليسار الإسلامي غالبها يدور حـول نفس الأفكـار الـتي سـنطرحها من خلال كتابه الـــتراث والتجديد في هـــذه المقالة وأهم هـــذه الأفكـــار الهدامة هي:

أولاً: العقل أساس النقل:

يقول حسن حنفي مؤكداً للفكر الإعــتزالي: (وقد ظهر أن العقل أساس النقل وأن كل ما عارض العقل فإنه يعارض النقــل, وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقــل، ظهر ذلك لـــدى المعتزلة وعند الفلاســفة وظهــرت لغة التخيل في الــوحي، ومنطق البرهــان في الفكــر، ولم نسر في هــذه الرؤيا ورجعنا إلى التشبيه والتجسيم والتقليد وجعلنا النقل أساس العقل، وامنا بالوقائع الحسية المادية وراء التصوير الفني، واعتمدنا على سلطة الكتاب في البرهان) ([5])..

ويتهكم حسن حنفي مقتبســـاً تعبـــيراً من شـــطر بيت للشاعر العلمـاني الفلسـطيني محمـود درويش: (واحتمى أبوك بالنصوص فجاء اللصــوص).. ورجعنا إلى النص الأول نعطي له الأولوية على الواقع (احتمينا بالنصـــوص فجـــاء اللصوص) ([6])..

---

[5] التراث والتديد/ص104
[6] السابق/ص104

هكـذا يعتقد حسن حنفي فـانص الأول هو طبعـاً القـرآن الكريم.ز فالتمسك بالقرآن يأتي باللصوص!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثانياً: العلمانية أساس الوحي:

وحول هذا يتساءل حسن حنفي ويفـتري على الله الكـذب ويقول: (فإن قيل إن الـتراث والتجديد سـيؤدي حتمـاً إلى حركة علمانية وفي العلمانية قضــاء على تراثنا القــديم وموروثاتنا الروحية وآثارنا الدينيــة، قيل قد قد نشــأت العلمانية في الغـرب إسـتجابة لـدعوة طبيعية تقـوم على أساس رفض الصور الخارجية وقسمة الحياة إلى قسـمين واســتغلال المؤسســات الدينية للجمــاهير وتوطينها مع السـلطة وحفاظها على الأنظمة القائمة نشـأت العلمانية استرداداً للإنسان لحريته في السلوك والتعبير وحريته في الفهم والإدراك ورفضه لكل أشــكال الوصــاية عليه ولأي سلطة فوقه إلا من سلطة العقل والضـمير، العلمانية اذن رجــوع إلى المضــمون دون الشــكل وإلى الجــوهر دون العـرض، وإلى الصـدق دون النفـاق، وإلى وحـدة الإنسـان دون ازدواجيته وإلى الإنسان دون غيره. العلمانية إذن هي أسـاس الـوحي، فـالوحي علمـاني في جـوهره والدونية طارئة عليه من صـنع التـاريخ، تظهر في لحاظـات تخلف الممجتمعـات وتوقفها عن التطـور، وما شـأننا بـالكهنوت والعلمانية ماهي إلا رفض لـه؟ العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأسـاس وإتهامها باللادونية تبعية لفكر غـريب وتـراث مغاير وحضارة أخرى) ([7])..

ونلاحظ في الفقـرة السـابقة بيانـاً صـريحاً لـدعوة حسن حنفي الإلحادية.. فالصـور الخارجيـة!! المرفوضة هي علم الغيب وهي الجنة والنار والملائكة.. فالوحي أي القـرآن أو الــدين بصــفة عامة اغتصب حق الإنســان في الســلوك والحرية حسب زعم حسن حنفي، وأن العلمانية اسـتردت هذا الحق المغصوب وأعادته للإنسان!!

فالعلمانية تؤدي إلى الصدق!! أما الدين والوحي والقـرآن فيؤدي كل منهما إلى النفاق والكذب!!

العلمانية تــرفض أي أشــكال الوصــاية على الإنســان، والوصاية المقصودة هنا هي نصوص القرآن والدين بصـفة عامة فـالقرآن يضـيق على تعبـير وحرية الإنسـان، كما أن

---

[7] السابق/ص63

هـذه العلمانية تـرفض أي سـلطة- أي النص القـرآني- أما العقل فهو وحـــده رب العلمانية وإلاههـــا.. ويخلص حنفي إلى أن العلمانية جــوهر والدونية طارئة عليه فالــدين من صنع التاريخ!!

بمعنى أوضح فالقرآن والـدين الإسـلامي نتـاج بشـري من صـنع التـاريخ ووليد ظـروف اجتماعية متخلفة لأن الـدين لايظهر إلا في مجتمعـــات متخلفة تـــوقفت عن التطـــور والعلمانية تـرفض هـذا الكهنـوت – أي الـدين- ثم بعد ذلك يقرر هذه الحتمية التاريخية الـتي لايعرفها إلا حسن حنفي ومن على شـــــــــاكلته: (العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى)!!. فأي دونية يقصد حسن حنفي؟!! أعتقد أنه يقصد أن العلمانية هي الـــدين لأنها أســـاس الـــوحي حسب زعمه!!

ثالثاً: الوحي ليس ديناً:

من المعلــوم بداهة أن المقدمة إذا كـــانت باطلة فلابد أن تكون النتيجة باطلة تبعـاً لـذلك.. ولما كـانت العلمانية هي أســاس الــوحي حسب زعم حنفي.. فالنتيجة أن الــوحي ليس ديناً وهـذا ما سـنجده في الفقـرة التاليـة: (يثـار بيننا الجدل عن الحكومة الدينية خلافة أم علمانيـة؟ ووتتصـارع الأهواء وتتضارب الغايات دون أن يحاول أحد تحليل الواقع الذي يمكنه أن يبدد كل هذا الجدل، فـالواقع لا يوصف بما هو أقل منه كما أن له بناءه المثالي في الـوحي، والـوحي ليس ديناً بل هو البناء المثالي للعالم) ([8])..

فالكاتب يفـترض أن هنـاك جـدالاً قائمـاً يصـوره له خياله الفلسفي! فمن هؤلاء العلماء الثقات الـذي أثـاروا الجـدل وتســـاءلوا عن الحكومة الدينية ســـواء كـــانت خلافة أم علمانية؟!! فهذا التساؤل لم يــدر إلا في خلد حسن حنفي ومن يحذو حـذوه! أما العلمـاء الربـانيون فـإنهم لم يثـيروا مثل هذا الجدل وطبيعة المنظومة الإسلامية.

رابعاً: طعنه في آيات التحريم:

يعتـــبر حسن حنفي أن من أســـباب فشل تغيـــير الواقع بالقديم –أي القرآن- هو الإهتمام بتحريم المحرمات، وفي

---

[8] السابق/ص101

ذلك يقول: (البداية بالمحرمات، والتشـديد في العقوبـات، وإصــدار قــوائم للممنوعــات، وجعل الســلوك الإنســاني تحقيقاً للنواهي دون ذكر للمباحـات الـتي يمكن أن يتصل من خلالها بالطبيعــة، وجعل العــالم مــواطن للشــبهات لا يجوز للإنسان أن يحوم حولها خشية التردي فيها، هـذا كله يمنع الثقة بين الإنسان والعالم، ويضع في الإنسان الخوف بـدل الشـجاعة، والإحجـام بـدل الإقـدام، ويجعل الإنسـان متشـككاً في سـلوكه، متهمـاً لنفسـه، نادمـاً على ما فعل مما يرسخ في نفسه الإحســـاس بالـــذنب النـــاتج عن الإقــتراب من التــابو أو مجــرد التفكــير فيــه، والــوعي السياسي يتطلب القضـاء على كل هـذه المحرمـات الـتي تخضع لتحليل العقل ولوصف الواقـــــــع، مما يعيد الثقة للإنسان بينه وبين العالم) ([9])..

هـذه دعـوى صـريحة لـرفض حكم الله والطعن في آيـات الله وقرآنـــه.. فالبداية بالمحرمــات –حسب زعمــه- هي ســبب فشل تغيــير الواقع بــالقرآن!! فحسن حنفي يقصد بقوله (البداية بالمحرمـات).. قــول الله تعــالى: (حــرمت عليكم الميتة والـدم ولحم الخـنزير و ما أهل لغـير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة و ما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب و أن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق)..

ويتمادى حسن حنفي في جرأته على النص القرآني قـائلاً: (البداية بقوانين العقاب أو تطبيق الحـدود، وكـان الإسـلام يأتي بالرجم والقتل وقطع اليد) ([10])..
ويقصد حنفي بقوله التشديد بالعقـاب.. قوله تعـالى: (إنما جــزاء الــذين يحــاربون الله ورســوله ويســعون في الأرض فساداً أن يقتلـوا أو يصـلبوا أو تقطع أيـديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفـوا من الأرض ذلك لهم خـزي في الـدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم).. وقوله تعالى: (الزانية والــزاني فاجلــدوا كل واحد منما مائة جلــدة ولا تأخــذكم بهما رأفة في دين اللـــه..) وقوله تعـــالى: (والســـارق والســـارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكـالاً من الله والله عزيز حكيم)..

فهـذه الآيـات البينـات الكريمـات لاتعجب أسـتاذ الفلسـفة دكتـور حسن حنفي، بل هي في زعمه سـبب فشل تغيـير

---

[9] السابق/ص42
[10] السابق/ص42

الواقع عن طريق القـديم!! أي عن طريق النص القـرآني بمعنى أن الشريعة الإسلامية في نظره لا تصـلح للواقـع.. (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)..

خامساً: لفظ الجلالة (اللـه) وألفـاظ (الرسـول.. الدين الجنة.. النار..إلخ) لم تعد عند حسن حنفي قادرة على التعبير عن مضامينها:

لم تسـلم شـعائر الـدين الإسـلامي من طعنـه، ولم يسـلم رســول الله صــلى الله عليه وســلم ولا حــتى ذات الله واسمه الأعظم من افتراءات أستاذ الفلسفة، حيث يقول: (إن العلوم الأساسـية في تراثنا القـديم مـازالت تعـبر عن نفسها بالألفـاظ والمصـطلحات التقليدية الـتي نشـأت بها هذه العلوم والتي تقضي في الوقت نفسه على مضـمونها ودلالتها والتي تمنع أيضا إعادة فهمها وتطويرهـا، يسـيطر على هــذه اللغة القديمة الألفــاظ والمصــطلحات الدينية مثل: الله، الرسول، الدين، الجنة، النـار، الثـواب، العقـاب (..) هـذه اللغة لم تعد قـادرة على التعبـير عن مضـامينها المتجددة طبقاً لمتطلبات العصر نظـراً لطـول مصـاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي تريد التخلص منهــا، ومهما أعطيناها معـاني جديـدة فإنها لن تـؤدي غرضـها لسـيادة المعنى العرفي الشائع على المعنى الإصـطلاحي الجديـد، ومن ثم أصبحت لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير والإيصال) ([11])..

انظر إلى هـذا الإفـتراء وإلى هـذه الجـرأة الوقحة مع رب العزة سبحانه وتعـالى، فلفظ الجلالة ما هو إلا لفظ قاصر ليس له واقع ولا يعـبر عن شئ والرســول والجنة والنــار مـاهي إلا ألفـاظ جوفـاء قاصـرة لا تعـبر عن واقع ولا عن شئ بل يـــــدعو حسن حنفي إلى التخلص منها أي رفض الدين جملة وتفصيلاً!!
فالأمر إذن دعوة للإلحاد بالمعنى الفصيحح.

سادساً: لفظ الجلالة (الله) يحتـوي على تنـاقض حسب افتراءات حسن حنفي:

فحاشا لله أن يحتوي اسمه الأعظم على تنـاقض.. يشـرح حنفي أســباب قصــور اللغة القديمة _ أي النص القــرآني_ فيقول: (إنها لغة إلهية تدور الألفاظ فيها حـول "اللـه" ولو

[11] السابق110

أنه يأخذ دلالات متعــددة حسب كل علم، فهو "الشــارع" في علم أصــول الفقــه.. وهو "الحكيم" في علم أصــول الدين، وهو "الواحد" في التصـوف، لفظ "اللـه" يسـتعمله الجميع دون تحديد سابق لمعـنى اللفظ إن كـان له معـنى مستقل أو لما يقصده المتكلم من اســتعماله، بل إن لفظ "الله" يحتوي على تنـاقض داخلي في اسـتعماله باعتبـاره مـادة لغوية لتحديد المعـاني أو التصـورات، مطلقـاً يـراد التعبير عنه بلفظ محدود) ([12])..

ويزيد حسن حنفي شرحه للفظ الجلالة: (يعبر عن اقتضاء أو مطلب، ولا يعبر عن معين أي أنه صرخة وجودية، أكـثر منه معنى يمكن التعبـير عنه بلفظ من اللغة أو بصـور في العقــل، وهو رد فعل على حالة نفســية أو عن إحســاس أكثر منه تعبيراً عن قصد أو إيصـال لمعـنى معين، فكل ما نعتقــده ثم نعظمه تعويضــاً عن فقــد، يكــون في الحس الشـعبي هو اللـه، وكل ما نصـبو إليه ولا نسـتطيع تحقيقه فهو أيضاً في الشـعور الجمـاهيري هو اللـه، وكلما حصـلنا على تجربة جمالية قلنـــا: اللـــه! اللـــه! وكلما حفت بنا المصائب دعونا الله، وحلفنا له أيضاً بالله) ([13]).

وماذا بعد كل هذه الافتراءات حول لفظ الجلالــة؟! يخلص حنفي إلى الآتي: (فالله لفظ نعــبر به عن صــرخات الألم وصيحات الفرح أي أنه تعبير أدبي أكثر منه وصـفاً لواقـع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خبريـاً، وما زالت الإنسـانية كلها تحاول البحث عن معنى للفظ الله) ([14])..

انظر إلى قوله (فما زالت الإنسـانية كلهـا).. فلمـاذا كلها وليس بعضها؟!

فهل هذا خطـاب علمي موضـوعي لرجل يـزعم أنه أفـنى عمـــــــره في البحث والتنقيب، فكأنه يخوفنا بتعميماته – الإنسانية كلهـا- لكن المسـلمين وحـتى أصـحاب الـديانات الأخـرى ضد هـذه الأطروحة الإلحاديـة.. أليس المسـلمون وأصحاب الديانات الأخـرى من الإنسـانية؟!.. بـالطبع هـذا هراء علمي! وهذه طريقة الخطاب الماركسي في التعتيم والحتمية لإرهاب القارئ بأن ما يكتب مسلمة تاريخية!!

---

[12] السابق/112
[13] السابق/113
[14] السابق/113

وفي تطاوله المستـــتمر على لفظ الجلالة يقـــول حنفي: (فالله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحريــة، وهند المظلــوم هو العــدل، وعند المحـــروم عاطفيــاً هو الحب، وعند المكبـــوت هو الإشـــباع، أي أنه في معظم الحالات صرخة المضـطهدين، والله في مجتمع يخـرج من الخرافة هو العلم، وفي مجتمع آخر هو التقـدم، فـإذا كـان الله هو أعز مالينا فهو الأرض، والتحرر، والتنمية، والعـدل، وإذا كــان الله هو ما يقيم أودنا وأســاس وجودنا ويحفظنا فهو الخبز، والرزق، والقوت، والإدارة، والحريـة، وإذا كـان الله ما نلجأ إليه حين الضـرر، وما نسـتعيذ به من الشـرر فهو القــوة والعتـاد، والإسـتعداد، كل إنسـان وكل جماعة تســقط من احتياجاتها علي، ويمكن التعــرف على تــاريخ احتياجــات البشر بتتبع معــاني لفظ "اللـــه" على مختلف العصور (..) ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولا هوت الثــورة، ولا هــوت التنميــة، ولا هــوت النظــام، ولا هــوت التقدم، كما هو الحال في العديد من الثقافـات المعاصـرة في البلاد النامية التي نحن جزء منها) ([15])..

أقول: هكـذا يفـتري هـذا الرجل على الله تخرصـاً (ومن أظلم ممن افترى على الله كـذباً).. يفـتري على اسم الله الأعظم.. تعالى الله عما يقول حنفي علواً كبيراً.. أهـذا ما يريد اليسار الإسـلامي لـديننا!! أهكـذا يكتب رجل عن رب العزة سبحانه وتعالى.. بكل هـذه الوقاحـة!! خبرونا إن لم يكن ما كتبه حسن حنفي في الفقـــرة الســـابقة إلحـــاداً وإنكـاراً لوجـود اللـه؟!! فمـاذا يكـون إذن؟!! أهكـذا يصل الخطـاب تحت مظلة البحث العلمي بحق الله تعـالى! في منتهى السخف والإستهزاء بجناب رب العــزة.. فضـلاً عن الإســتهزاء بعقيــدة أهل التوحيــد.. (ســبحانك هــذا بهتــان عظيم)..

لو طلب من حسن حنفي أن يكتب بحثـــــاً أو مقالة في فرعون من الفراعين ما اجـترأ أن يتحـدث بهـذه الطريقة الإلحادية الـــتي تـــدل على زندقة ســـافرة.. (الله هو الرغيـــف!! والحب والتنمية والأرض والحرية و الـــرزق والقوت!!)..

والله لقد قال هذا الزنديق الذي يصر على أنه مسلم قولاً (تكاد السموات يتفطـرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبـال هـدا).. ورغم هـذا الكفر البــواح يتبجح حسن حنفي عــبر

---

[15] السابق/ص113 وص139

وسائل الإعلام مدعياً أنه مسلم يقدم مشروعاً حضارياً لينقذ به أمة الإسلام!!

سابعاً: السلام أفضل من الإسلام:

حتى الإسلام الذي اختاره الله لأنبيائه وأوليائه بقوله سبحانه وتعالى: (إن الدين عند الله هو الإسلام).. وقوله سبحانه: (هو سماكم المسلمين من قبل).. والذي لا يقبل الله ديناً سواه (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه).. حتى هذا اللفظ المبارك الذي يعتز به المسلمون يضن به حسن حنفي علينا ويزين له خياله الفلسفي الذي أورده مهالك الزندقة والإلحاد إلى تفضيل لفظ "السلام" على "الإسلام"، حيث يقول: (ولفظ السلام أيضاً يعبر أكثر عن مضمون الإسلام من اللفظ ذاته لأن السلام هو الذي يحقق السلام الداخلي للإنسان بعد تحرره من كل قيود القهر والإستعباد، ثم هو الذي يحقق المجتمع الواحد الذي لا طبقات فيه ولا استغلال ولا احتكار ومن ثم ينشأ السلام في المجتمع، وهو أيضاً الذي ينظم علاقات الأمم بعضها مع البعض الآخر على أساس من السيادة المتبادلة وأحلاف السلام) ([16])..

يستين لنا من الفقرة المذكورة آنفاً أن الدكتور حسن حنفي يجهل اللغة العربية أو يتجاهل قواميس العرب وأن لفظ السلام أحد مكونات الإسلام وهو جزء من بعض معاني الإسلام فالإسلام أعم وأشمل من هذا الفهم الضيق القاصر.. ولو كان الإسلام بمعنى السلام الضيق الذي يريده حسن حنفي لما وصل الإسلام إلى المعمورة ولما خرج الإسلام من جزيرة العرب!!

ثامناً: الألفاظ الأصولية توحي بأن الإنسان آلة:

لم تسلم بالطبع مصطلحات اصول الفقه التي اتفق عليها علماء الأمة السابق منهم واللاحق من طعنه، حيث يقول: (الواجب والحرام والمندوب والمكروه والمباح فهي ألفاظ توحي بأن الإنسان ما هو إلا آلة للتطبيق وأنه فاقد حريته، في حين أن التعبير بألفاظ أخرى مثل الطبيعة والإنطلاق والإزدهار فيها تأكيدا للذات وإثبات لحريتها وتحقيق وجودها) ([17])..

---

[16] السابق/116
[17] السابق/118

تاسعاً: الحديث عن الله وصفاته هو حديث عن الإنسان الكامل في الشعور:

الله سبحانه وتعالى في نظر حسن حنفي عبارة عن صورة صنعها الإنسان في عقله للأنموذج الأمثل كأن الله أمنية أو صورة جميلة صنعها الإنسان لنفسه لصفات الرجل الكامل الخالي من العيوب، حيث يقول: (ويعبر لفظ الإنسان الكامل عن علم التوحيد وعلم التصوف معاً، فمع أن علماء أصول الدين يتحدثون عن الله ذاته وصفاته وأفعاله فإنهم في الحقيقة يتحدثون عن الإنسان الكامل، فكل ما وصفوه على أنه الله إن هو إلا انسان مكبر إلى أقصى حدوده) ([18])..

(تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً).. أليس هذا إلحاداً في أسماء الله وصفاته وأفعاله؟!!

يقول الله تعالى متوعدا لأمثال حنفي: (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا).. لكن حسن حنفي تجاوز الإلحاد في الآيات والأسماء والصفات فالرجل ينكر وجود الله أصلاً..

عشراً: لا تقديس للقرآن والسنة:

قد تناول حنفي في طعنه أعظم ما تعتز به هذه الأمة من شعائر دينها والعاصم لها من الضلال بعد الهدى ومصدر شريعتها إذ يقول: (نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعني هذان المصدران أي تقديس لهما بل هو مجرد وصف لواقع) ([19])..

حادي عشر: الدعوة إلى التخلي عن اللغة المغلقة إلى لغة أكثر عقلانية:

يقول حسن حنفي: (التخلي عن لغة اللاهوت الخاصة من إله، ورسول، وثواب، وعقاب، وملاك، وشيطان، وهي اللغة المغلقة التي مازالت خاضعة للرمز الديني، واستعمال لغة أكثر عقلانية وانفتاحاً وإنسانية يمكن لأي فرد أن يعقلها مثل الإنسان، والعقل، والنظر، والفضيلة،

[18] السابق/126
[19] السابق154

في حين أن علم الكلام ظل خاصــاً، وعــبر عن مضــمونه بلغة خاصة في مقابل الفلسـفة الـتي اسـتطاعت أن تتجه نحو العالم، ونحن الآن قد رجعنا خطوة أخرى إلى الـوراء، وألغينا التطور، وآثرنا لغة اللاهوت المغلق على لغة الفكر المفتوح) ([20])..

أقول: هكذا حققت الفلسفة على حد زعمه ما لم يحققه علم التوحيد - علم الكلام - فعلم التوحيد يحـوي نظريـات مبعثرة!!

والكــاتب يتأسف ويتحسر لأننا رجعنا إلى الــوراء: (ونحن الآن قد رجعنا خطوة أخرى إلى الوراء بإيثارنا البقـاء على نظريـات مبعـثرة دون تصـور كـوني عـام وشـامل نعرضه على مستوى الشـعور دون أن نتركه يعمل في اللاشـعور) ([21]).

ثاني عشر: استعداؤه للإسلام ومقدساته وتملقه سلطات اليوم:

في الوقت الـذي يشن فيه حسن حنفي الحـرب على الله وعلى مقدسـات المسـلمين وعلى الرسل وعلى الملائكة بجرأة فجة.. وعلى الجانب الآخر نجده شـفوقاً حنونـاً لين الجانب في الحديث عن الحكومـات الحاليـة!! فقد هـربت شجاعته العلمية التي يزعمها وطفق يسـتعدي الحكومـات ضد الإسلام!!

فحسن حنفي يطمئن هذه الحكومـات حـتى لا تفهمه خطأ عندما يستخدم مصـطلح الثـورة في كتاباتـه.. فيقـول لهم إن الثـورة الـتي يقصـدها هي ثـورة ضد الـدين ضد الله لا ضدكم أنتم!! فلا تصـادروا كتـبي لأنـني أدافع عنكم وأثبت عروشكم بهدمي لمعتقـدات المسـلمين إذ يقـول : (تغيـير الواقع بالوثوب على السلطة دون انتظار لتجنيد الجمـاهير –مصدر السلطة- ومن ثم كانت هذه الـدعوات أقـرب إلى محـاولات الإنقلابـات منها إلى تغيـير اجتمـاعي بالفعـل) ([22])..

---

20 السابق/15
21 السابق/158
22 السابق/40

ويؤكد حنفي في فقرة أخـرى: (الإعتمـاد على التنظيمـات السـرية وغالبـاً ما تكــون مســلحة مما يقــوي العقلية المتآمرة، والإحساس بالإضطهاد، والإنفصال عن الآخرين، والرغبة في السيطرة) ([23])..

وإذا أنزلنا ما يقوله على المنظومة الماركســــية نجد أن حنفي يكيل بمكيــالين.. فهل قــامت الثــورة البلشــفية الشيوعية عام 1917 من دون أن تمر بالتنظيم السري أو الدعوة السرية؟!!

وهل الوثـوب على السـلطة دون انتظـار تجنيد الجمـاهير حلال للماركسـية ومن على حمرتهـا، وحــرام على بــني الإسـلام؟!ـ أحـرام على بلاله الـدوح حلال للطـير من كل جنس.

ثالث عشر: الحجاب كبت جنسي:

لم يترك حسن حنفي أي شعيرة أو فضيلة في الإسـلام إلا نقضها وطعن فيها وتطاول وافـترى على المشـرع الحكيم الـذي فـرض الحجـاب وأمر بـه!! فيقـول حنفي: (سـيادة التصور الجنسي للعالم، البداية بالحجـاب وعـدم الإختلاط، والأمر بغض البصر، وخفض الصوت، وكلما ازداد الحجــاب ازدادت الرغبة في معرفة المسـتور، والـدعوة السياسـية الإجتماعية أرحب وأوسع عن هــــذا التصــــور الجنسي للعلاقـات الإجتماعيـة، ولمـاذا يصـنف المـواطن إلى رجل وامرأة؟ ولماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً أم أنـثى؟ إن تأكيد النظرة الإنسانية أو الإعلان عن الثورة السياسـية من شأنه إحداث ثـورة في السـلوك الفـردي دون ماحاجة إلى التصنيف الجنسي للمواطنين، خاصة وإن كان لا يــدل على فضيلة بل يدل على رغبة جنسـية مكبوتة أو حرمـان جنسي في حالة من التسامي والإعلاء) ([24])..

إنظر إلى هذا الميزان المقلوب الذي يزن به حسن حنفي أسباب فشل تغيير الواقع بالقديم أي عن طريق القرآن!! فهناك تناسب طردي بين الحجاب والرذيلــة!! فكلما ازداد الحجاب زادت الرذيلة!! فالحجاب في نظره رغبة جنسـية مكبوتـــة!! والحجـــاب ســـبب تفشي الرذيلة والفوضى الجنسية في العالم!!

---

[23] السابق/41

[24] السابق/42

ويتطـاول حسن حنفي على النص القـرآني (يوصـيكم الله في أولادكم للــذكر مثل حظ الأنثــيين).. ويتســاءل حنفي لماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكـراً أم أنـثى؟!! ولمـاذا يصنف المواطنون إلى رجل وامرأة؟!!

صفوة القول:

هكــذا ظهر المخبــوء وانكشف المســتور، واســتبان لكل منصف كـذب الـدكتور حسن حنفي وضلاله بل وزندقتـه.. فبعد كل هـــذا الإفك والإفـــتراء على الله وعلى رســـوله وعلى دينه يــزعم حسن حنفي أنه مســلم!!! أي إســلام يريده حسن حنفي والإسلام في نظـره عبـارة عن ألفـاظ جوفاء لوصف واقع فقط!!

أعتقد بعد هـــــذا التطـــــواف في أحد كتب حسن حنفي (الـتراث والتجديـد) أن الإسـلام الـذي يقدمه لنا من خلال مشــــروعه اليســـاري لم يـــنزل على محمد بن عبد الله رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم.. هـذا الـدين الـذين يـدعونا إليه حسن حنفي لم يعرفه الصـحابة رضـوان الله عليهم وسلف هذه الأمة!!

أما الدكتور أستاذ الفلسـفة حسن حنفي : فنحن بـراء من مشــــروعك اليســـاري فكن صـــريحاً مع نفسك وأفصح بالحادك ولا تتمحك في الانتساب إلى الإسـلام!! فمحـاول التلفيق والتزوير وزعمك أن العلمانية هي أساس الوحي.. حديث خرافة!!

وقد كان الكاتب العلماني عادل ضاهر أكثر جرأة ووضوحاً منك ومن غيرك في إفصاحه عن علمانيته بالمعنى الغربي الـدقيق-اللاتيـني- فقد أسـاءه كتـابت هـؤلاء العلمـانيين العـــرب الـــذين يســـيرون على منهج التوفيق والتلفيق فنقدهم في مقدمة كتابه (أسس الفلسفة العلمانية) قائلاً: (والأخطر من هذا تدليلاً على تراجع الفكر العلماني عنـدنا مانشــــهده من محــــاولات حثيثة من قبل المفكــــرين العلمانيين لدعم مـوقفهم عن طريق اللجـوء إلى الإسـلام نفسـه- القـرآن والسـنة- غـير مـدركين أنهم إنما يقـدمون بهذا أكبر التنازلات للحركة المناوئة للعلمانية وأنهم –وهـذا هو الخطـر- يناقضـون أنفسـهم أيما تنـاقض إذا يجعلـون النص الـديني مـرجعهم الأخـير في مجـال دفـاعهم عن

علمـانيتهم، بينما العلمانية تقــوم في المقــام الأول على مبدأ أسبقية العقل على النص) ([25])..

أقــول: هكــذا أراحنا عــادل ضــاهر وأراح نفسه وأعلن مفاصـلته الكاملة للـدين بمعـنى أوضح أعلن إلحـاده.. أما الدكتور حسن حنفي فإنه لم يملك هذه الجــرأة.. والنتيجة واحـدة في كلا الـرجلين.. فكلاهما يهـدم الإسـلام وكلاهما ليسا على شئ..

لكن مهما لفق حسن حنفي وزور وزيــف.. ومهما طبل له الإعلام المعــــادي للإســـلام.. فإنه لن يكـــون في نهاية المطــاف إلا زنــديق من الزنادقة الــذين يحــاولن هــدم الإسلام الشـامخ على مر العصـور.. ومصـيرهم معـروف.. في مزابل التاريخ.. ولن يفلحـوا إن شـاء اللـه.. فالإسـلام أصلب من معاول هدمهم ..

الأستاذ هاني السباعي
مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

[25] راجع مقدمة كتـاب: الأسس الفلسـفية للعلمانيـة/عـادل ضاهر/دار الساقي لندن